عوامل نشأة الرواية الجزائرية الحديثة

Factors of the Emergence of the Modern Algerian Novel

د. فؤاد علجي

جامعة أحمد دراية– أدرار (الجزائر)

f78947496@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/04/20 **تاريخ القبول: 2021/05/12**

ملخص:

يرتبط الحديث عن البدايات الأولى للرواية العربية الجزائرية وجوبا بملابسات النهضة الأدبية في الجزائر، إبان الحقبة الاستعمارية، وقد ساهمت جملة من العوامل في قيام تلك النهضة أبرزها: العوامل الاجتماعية، والعوامل السياسية، والعوامل الثقافية.

الكلمات المفتاحية: العوامل، النشأة، الرواية الجزائرية الحديثة.

Abstract:

The discussion of the early beginnings of the Algerian Arab novel is linked to the circumstances of the literary renaissance in Algeria, and a number of factors contributed to the emergence of this renaissance, most notably: social factors, political factors, and cultural factors.

keywords: factors, origins, modern Algerian novel.

مقدمة:

إنّ الرواية من بين الأجناس الأدبية التي تحتاج في نشوئها وتطورها والإبداع فيها إلى ظروف وأسباب عديدة منها: "الهدوء والأمن والاستقرار الاجتماعي والفردي، وانتشار وسائل الثقافة من طباعة ونشر وصحافة وندوات فكرية وأدبية، وتعليم ميسر لكلّ أفراد المجتمع وفي كلّ المستويات وهذا هو الأهم حرية إسهام الكتاب المبدعين في التعبير والتنقل داخليا وخارجيا ومنها أيضا الظروف الاقتصادية الملائمة التي تجعل من الكاتب المبدع قادرا على الانصراف إلى الجوانب الإبداعية الفنية والفكرية، ضمن طبقة اجتماعية تؤمن بأهمية

الفن والفكر، دون أن يكون هذا الأديب أو الفنان مهددا في وسائله المعيشية الضرورية له ولأسرته، فضلا عن وسائل اقتناء وسائل وأدوات أخرى مساعدة على التثقيف من كتب وصحافة وتنقل ... إلخ"[1].

ومن هذه الظروف والأسباب المساعدة على الإبداع بشكل عام والإبداع الروائي بشكل خاص "وجود جو اجتماعي وإداري وسياسي عام، سيستقبل إنتاج الأديب أو الفنان، بحيث يتلقاها ويتحاور معها مشجعا أو ناقدا أو رافضا، الأمر الذي يجعل من الإنتاج الأدبي والفكري مادة لها قيمة في تطوير المجتمع والحياة بشكل عام، وإذا كانت الجزائر حتى أوائل القرن التاسع عشر، قد خضعت للإدارة التركية العثمانية، كما عرفت عليه تلك الإدارة من تسيب وجمود عام، وانصراف عن الحوار مع المجتمع، إلا فيما يتعلق بأمور مادية أو إدارية، مثل: الجباية وجمع الضرائب والانتماء العام للسلطان العثماني، إلا أنّ المجتمع الجزائري بصفتيه الإسلامية والعربية كان يسير حياته البطيئة سواء أكانت تلك الحياة ثقافية أم تعليمية أم اقتصادية تقليدية، مثل معظم المجتمعات الأخرى التي انتمت منذ قرون إلى الحضارة العربية الإسلامية، صعودا وهبوطا، عبر مراحله التاريخية المتوالية حتى نهاية عصوره الوسطى"[2].

ولكن ماذا عن ظروف المجتمع الجزائري في ظلّ الحقبة الاستعمارية، والتي عزلته سياسيا وإداريا وثقافيا عن المحيط الذي كان يعيش فيه بخيره وشره؟

هل غزو فرنسا للجزائر قد أدّى بالمجتمع إلى النهوض، أم إلى المعاناة والركود؟

1– العوامل الاجتماعية:

احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م بعد انتصارها على الدولة العثمانية ولكنَّها "في سعيها للسيطرة على مختلف المناطق، لقيت مقاومة شرسة ومستميتة، وقد خلّد التاريخ ملحمة الأمير عبد القادر (1807/1883م) مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة وصانع مجد المقاومة ورمز من رموز الجهاد في التاريخ الإسلامي، فلجأ هذا الاستعمار إلى عزل الجزائر عن محيطها الثقافي والحضاري وإلحاقها مباشرة بالدولة المحتلة واعتبارها مقاطعة فرنسية احتل

الأجنبي الأرض ولكنه لم يستطع السيطرة على العقول والنفوس والمتخيل، ذلك أنّ المقاومة تمكنت من الانتقال إلى الأبنية الأنثروبولوجية العميقة للإنسان الجزائري إنها غريزة البقاء التي غذّت المقاومة الجديدة التي استعمل فيها الجزائريون سلاح الدمار الشامل الخرافة، الأسطورة، الدين، المتخيل، الغيبيات، في ظلمات ليل الاستعمار تمكن الشعب الجزائري من حماية نفسه وضمان تماسكه ووحدته متجنبا التلاشي والذوبان في كيان الآخر"[3].

ظنَّ المستعمر الفرنسي أنه تحكم بصيغة كلية في المستعمرة، هذا الظنّ شجعه على تنظيم مختلف التظاهرات والاحتفاليات والمهرجانات لتخليد وإحياء الملحمة الاستعمارية بعد مرور ما يقارب مئة سنة على احتلال الجزائر، فكانت الجزائر من أسبق شقيقاتها في العالم العربي الإسلامي ابتلاء بالغزو الأوروبي ممثلا في الاحتلال الفرنسي، الذي كان فريدا من نوعه في بلاد العروبة والإسلام، "فقد كان هجمة صليبية تغريبية وحربا عوانا على القدرات المعنوية للشعب الجزائري، عقيدة ولسانا، تراثا وحضارة، كما كان هذا الغزو نهبا فظيعا للأموال والثروات، واستيلاء جشعا على الممتلكات أراضي وعقارات، فأصبح الشعب الجزائري نتيجة ذلك يعيش في عسرة من أمره، ما بين جور وقهر وحرمان وفقر وجهل وجمود، بينما كان هذا الاحتلال الأوروبي الفرنسي في غير الجزائر يصاحبه شيء من أشكال حرية الحركة الذاتية للشعوب المحتلة، مما يسمح لها بأن تتصرف بعض التصرف في ممتلكاتها المادية وتحافظ بعض المحافظة على خصوصياتها الاجتماعية والثقافية والحضارية، مما لم تحلم بأطيافه الجزائر طوال ليل الاحتلال البغيض"[4].

لقد عملت فرنسا في البداية إلى تعليم أبناء الشخصيات الأرستقراطية "والاعتماد عليهم كإطارات متوسطة لمساعدتها على تسيير الشؤون الجزائرية، لكن فرنسا بعد ذلك اعتبرت هذا الأمر خطرا عليها وعلى مستقبلها في الجزائر لأنّ انتشار التعليم عند العرب يعني أنّ أبناء الجزائر سيتكلمون بصوت واحد، الجزائر للعرب، إنّ فرنسا لا تريد أن يتعلم الشباب الجزائري ثم يطالب بحقوقه السياسية وبالإدماج والمساواة مع الأوروبيين"[5].

فكان لذلك أن سخّر الفرنسيون وسائط عديدة لخدمة مخططهم في "محاربة الثقافة العربية الإسلامية وتضييق الخناق عليها، ونشر جحافل الجهل وسموم التغريب وأدواء التفرنج بين الجزائريين ومحاولة غرس بذور التنكر في نفوس بعضهم نحو قيمهم ومقومات شخصيتهم"[6].

لقد قامت فرنسا بالاستيلاء على الأملاك الخاصة الأمر الذي ألحق ضررا كبيرا بالجزائريين يقول المؤرخ ليسبيس Léspes بأنَّ: "الأهالي المجردين من أملاكهم بدون أي تعويض، بلغ بهم الشقاء إلى حدّ التسول"[7].

وتحدث مؤرخ آخر اسمه روزي Rozet "عن الأضرار الفادحة التي ألحقها الجنود بالديار وتهديم المنازل وقلع الأبواب والشبابيك، وقطع أشجار الفواكه ليستعملوا الحطب في التدفئة"[8].

أما أوغسطين بيرك Augustine Burke فقد كتب يقول: "بعد أن تكلم عن انحطاط الصناعة التقليدية التي كانت مزدهرة في مدينة الجزائر، هناك عامل جديد قضى على البورجوازية المحلية التي كانت تعيش من ريع أملاكها، وهو ارتفاع الأسعار نتيجة لتضخم العملة والأوراق النقدية وذلك أننا أدخلنا إلى الجزائر كمية كبرى من النقود التي ما لبثت أن حلت محل العملة المحلية وخاصة بعدما أصبحت السلع والبضائع لا تخلّص بهذه العملة الأخيرة ..."[9].

لقد كتب ماريوس نيكولا بول Marius Nicolas Paul كبير أطباء جيش أفريقيا حيث يقول: "كلّ ما تقع عليه العين هنا، حين يصل الإنسان، يبعث على الحزن والأسى فالأهالي أصبحوا في حالة يرثى لها من البؤس والشقاء..."[10].

بعد مصادرة الأوقاف ونفي العديد من العلماء وترهيب الباقين، "ترك الفرنسيون التعليم يموت دون الإعلان عن ذلك رسميا، اشتغلوا بالاستيلاء على الأراضي وتوطين أبنائهم فيها ومحاربة المقاومين وأهملوا كلّ ما يتعلق بتعليم الجزائريين، ففي فترة الأربعينات نصبت لجان رسمية، وزارء الجزائر أمثال أليكسيس دي طوكفيل Alexis de Tuckville وخرجوا جميعا برأي عن تجربة التعليم في الجزائر ماضيا وحاضرا ويتلخص هذا الرأي فيمايلي:

– الاستمرار في إهمال التعليم العربي الإسلامي، وعدم رد الأوقاف إليه.
– ترك التعليم في الزوايا الريفية والمعمرات على ما هو عليه مع مراقبة برنامجه ومعلميه حتى لا تكون الزوايا مراكز لمعاداة الفرنسيين"[11].

يقول لويسارين Luisarin: "كان القرآن في الجزائر هو كلّ شيء، هو المعلم والتعليم وكان الفرنسيون كلما حاولوا مشروع إصلاح فكروا في عدم المس بالمشاعر الإسلامية، لكن المتعلمين الجزائريين الخبراء أصبحوا بمرور الزمن نادرين مما سهل على فرنسا تمرير مشاريعها لقد كان هدف فرنسا منذ 1830م هو الحط من التعليم القرآني وتعويضه تدريجيا بتعليم أكثر عقلنة وأكثر علمية، وبالخصوص أكثر فرنسة، وقد نجحت فرنسا وهو يكتب سنة 1884م في الفصل بين الدين والتعليم اللذين كانا في الماضي لا ينفصلان"[12].

وإذا كان الاستعمار قد أفاد بعض الدول العربية حين نقل إليها المطابع والمجالس العلمية ونحو ذلك، فإنَّه في الجزائر "كان على عكس ذلك تماما، إذ لم يأت لينشر حضارة وإنما جاء ليسلب أفكار الشعب، ويزوّر تاريخه ويحطم كيانه، ويستغل ثروته، وبذلك تعرضت شخصية الأدب التي ظلّت محتفظة بمقوماتها وملامحها إلى هزات عنيفة كادت تفقدها تلك المقومات والملامح، لأنها لم تستطع أن تواجه الغزو الثقافي بنفس العتاد الذي جاء به الاحتلال في عنفوانه وانتقامه، ولم تستطع أن تطور ذاتها بالطريقة التي يفترضها تخطيط العدو وبرامجه في الهدم والتسلّط وإزالة المعالم القومية"[13].

وما كادت تستقر أقدام الجند الفرنسي ببعض جهات البلاد الجزائرية "رغم المقاومة والحروب المستمرة، حتى أصبحت سياسة فرنسا تتبلور حول غايتين:
– الأولى: أقطاع الأرض للفرنسيين والإتيان بأكبر عدد منهم إلى البلاد حتى تمحى صبغتها العربية الإسلامية، وتغدو أرضا لاتينية مسيحية.
– الثانية: حكم البلاد حكما مباشرا ولا دخل لأهل البلد فيه، فبلاد الجزائر كانت تحكم بادئ ذي بدء بواسطة قادة جيش الاحتلال، وقد اشتهر منهم الكثير بأعمال التنكيل والمذابح الجماعية، وكان شعار المارشال بيجو Peugeot السَّفاح الشهير: احتلال الجزائر بالسيف والمحراث، السيف في رقاب العرب والمحراث بيد المستعمر الفرنسي"[14].

ففي السنوات الأولى من الاحتلال "وبالتوازي مع ما كان به من نهب للثروات الوطنية واستيلاء على الأراضي الخصبة الشاسعة، راح يوظف كلّ ما لديه من قوة ظاهرة أو باطنة للقضاء على مصادر الثقافة الوطنية، فهدم كثيرا من المساجد وحوّل أعدادا كثيرة منها إلى كنائس أو ثكنات وفي نفس السياق وجّه ضربات قاسية للمثقفين الجزائريين فقتل من قتل ونفى من نفى وزج في السجون بمن شاء وظل يطارد ويضطهد كلّ من بقي طليقا قصد منعه من القيام بواجبه نحو المجتمع"[15].

لقد عمل الاستعمار الفرنسي على تفكيك المجتمع الجزائري، بالنفي والتهجير والتجهيل وخاصة بإضرام نار الفتنة بين القبائل، وبث عقارب النزاع والفوضى، كما عبّر عنه أحد كبار غلاة المستوطنين الدكتور بوديشون Bodichon في كتابه «تأملات حول الجزائر» «Considération su lalgérie».

وهكذا أمعنت فرنسا "واستطاعت بسياستها الاستدمارية ووسائلها القهرية والقمعية أن تقدّم للعالم أنموذجا لمهانة الإنسان الجزائري ومذلته لا مثيل له في تاريخ البشرية الحديث اقتلعت شعبا بأسره من جذوره ثم رمت به في غياهب الظلام والجهل، وألقت به في هوة الفقر المدقع والبؤس الشديد، منعت عنه كلّ شيء حتى أسباب الحياة البسيطة، مسخت معالم شخصيته وشوهت قيمه الحضارية، فقد كيانه وصار في نظر الاستعمار لاشيء"[16].

وفي ظل هذه الأوضاع العصيبة التي مرَّ بها المجتمع الجزائري ظهرت الكتابات الجزائرية في هذه الفترة متنوعة شملت "الروايات الاجتماعية بحكم ما عرفته الجزائر من أوضاع عصيبة كان لها بعيد الأثر في رد فعل المبدعين، فيكفي أنها عبّرت عن الوضع القائم من تملل وغضب ورفض الذوبان في الذات الأخرى، إنها كتابات تحدثت عن سياسة الاندماج المفروضة ورأت ما فيها من سلخ واغتصاب لمعالم الهوية فلجأت إلى التراث علها تجد توازنها أمام اعتصار السلخ الثقافي المفروض"[17].

وسواء عانى "الروائيون الجزائريون حالة الحرمان هذه أو شاهدوها في مجتمعهم فإنهم لم يبقوا ولا ريب جامدين تجاهها، فقد جعلوا من أنفسهم بصورة تلقائية شهودا على الأوضاع

التي يحياها شعبهم، فتبين رواياتهم بداية عملية تصفية الاستعمار التي كانت تتجلى من خلال الحياة الاجتماعية للجزائريين"[18].

وتميزت الفترة التي عاشتها الجزائر "قبيل الحرب العالمية الثانية بانتشار حالة الفقر وسوء التغذية، وإنّ الكتاب الجزائريين الذين عانوا هم أنفسهم قساوة ومصاعب هذه الفترة يعودون بذاكرتهم إليها فيستودعونها في رواياتهم مع خبراتهم وتجاربهم ومشاعرهم وكذلك مشاعر شعبهم الجزائري بأكمله"[19].

إنّ نتاج هؤلاء الروائيين الجزائريين قد جاء في ظروف استثنائية قاهرة، عانت فيها الجزائر من مسخ لهويتها الثقافية والوطنية وطمس لملامحها ومكوناتها، حيث أقصي الإنسان الجزائري ولغته في ميادين الحياة خاصة الأدبية والفكرية منها.

2. العوامل السِّياسيَّة:

إنّ يوم 08 ماي 1945م يوم "مظلم الجوانب بالظلم، مطرّز الحواشي بالدماء المطلولة مقشعرّ الأرض من بطش الأقوياء متبهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور، وغبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير ولا تدوين، يوم ليس بالغريب عن رزنامة الاستعمار الفرنسي بهذا الوطن، فكم له من أيام مثله، ولكن الغريب فيه أن يجعل عن قصد ختاما لكتاب الحرب ممن أنهكتهم الحرب على من قاسمهم لأواءها وأعانهم على إحراز النصر فيها، ولو كان هذا اليوم في أوائل الحرب لوجدنا من يقول إنّه تجربة، كما يجرّب الجبان القوي سيفه في الضعيف الأعزل"[20].

أين النعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟ كان للمنذر يومان: "يوم بؤس ويوم نعمى، وبينهما مجال واسع للبخت، وملعب فسيح للحظ، فإذا طار طائر النحس في أحد يومه وقع على حائن أتت به رجلاه، أو محدود لم يلتق مع السعد في طريق، أما الاستعمار فأيامه كلّها نحسات، بل دهره، كله يوم نحس مستمر محيت الفواصل بين أيامه ولياليه، فكلها سوء حوالك يطير طائر النحس منها فلا يقع إلا على أمم آمنة مطمئنة وأين قتلى ضمخت دماؤها الغريين، من قتلى ضمخت دماؤها أديم الأرض وخالطت البحار حتى ماء البحر أشكل"[21].

ففي يوم 08 ماي 1945م، احتفل العالم الغربي الحر "بعقد الهدنة مع ألمانيا وأراد الجزائريون أن يشاركوا في هذا الاحتفال، وأن يتخذوا منه وسيلة لإظهار عواطفهم وبيان أهدافهم لكنّ الاستعمار كان قد هيأ برنامجه، واختار مكان المعركة، فما كادت مظاهرة سلمية تقع بمدينة سطيف صبيحة ذلك اليوم، حتى تحرش بها الفرنسيون بدعوى أنّ المتظاهرين كانوا يرفعون علما جزائريا محجرًا فكان ذلك الحادث إيذانا بالاندفاع في مذبحة من أفظع وأقذر المذابح الاستعمارية في العالم، وفتح الجميع موسم الصيد الآدمي، وطورد المسلمون في المدن والقرى والمداشر، كما تطارد السباع في الغابات، وعمّت المذابح، فلم ينج منها رجل ولا امرأة ولا صبي"[22].

يوم الثامن من ماي 1945م "الذي ارتكبت فيه مجازر وحشية يندى لها جبين البشرية والتي فاقت في وحشيتها أيّ تصور، ضدّ أبرياء عزل خرجوا من ديارهم إلى الشوارع يهتفون بطريقة سلمية ويطالبون فرنسا التي كانوا إلى جانبها خلال الحرب بالأرواح والأموال أن تفي بوعودها، فتنظر إلى مطالبتهم بعين الاحترام، لكنها كافأتهم على تلك التضحيات بقتل أكثر من خمسة وأربعين ألف جزائري رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا، وقد دفعت تلك الأعمال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1889/1965م) إلى اعتبارها أعمالا لو شهدها فرعون لتبرأ منها ولافتخر بعدم ارتكابه لها، وهو الذي كان يذبح الأنبياء ويستحي النساء"[23].

فمأساة 08 ماي 1945م يمكن أن تعتبر في الواقع "البؤرة التي التفت حولها الحركة الوطنية فاختفى الشقاق والخلاف وتمخض عنها الإصرار على الكفاح المسلح الذي اندلع من بعد في نوفمبر 1954م في ثورة شاملة، ونتيجة لهذه التطورات أتيح انبثاق أدب جزائري كنتيجة للمطالب الوطنية التي فرضت نفسها"[24].

فقد أدت مذابح سطيف عام 1945م إلى أن "يتجه الروائيون باهتماماتهم العميقة إلى المسائل السياسية وأن ينصرفوا بصورة تدريجية عن المشاكل الاجتماعية، لكنّ حرب الاستقلال هي التي جعلتهم يغوصون في أعماق المواضيع السياسية والوطنية"[25].

فقد حمل هؤلاء الأدباء مشعل الحركة الأدبية "وساروا بها أشواطا على طريق النضج والتحرر والتطور، فصدقت العزائم وأثمرت الهمم، فاستعادت الكلمة وظيفتها الواقعية النضالية، وغدت الصوت المعبّر عن ظروف المجتمع وحاجاته، واتسع صدرها للإفصاح عن مختلف القضايا التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالوجدان الجماعي للأمة والالتزام بالتعبير عن تطلعاته تعبيرا صادقا أمينا"[26].

وإذا كان للعامل الاجتماعي والسياسي دور فعال في نشأة وتطور هذه الروايات، فإنّ ذلك لا يمنع من وجود عامل آخر لا يقلّ أهمية عن العاملين السابقين، ولا يخلو من أثر في نمو فن الرواية متمثلا في العامل الثقافي.

3. العوامل الثَّقافيَّة:

في ظلِّ الظروف القاسيَّة التي عاشها الشعب الجزائري أثناء الحقبة الاستعمارية، لم يبق للمجتمع الجزائري من الثقافة إلا ذلك التراث الشعبي القديم الزاخر بالفنون، ومن اللغة إلا تلك اللهجة العامية، فلغة الطبقات الشعبية ظلّت هي الأخرى محافظة على الهوية الوطنية والشخصية الجزائرية مستعملة في ذلك اللغة القومية استعمالا شفويا.

فالروايات والقصص الشعبية المحكية "ظلَّت نشيطة في الجزائر، وأمام ضعف الثقافة المكتوبة لجأ الفكر الشعبي إلى التعبير الشفوي القائم على الحفظ والذاكرة والاستمداد من التراث أو من الخيال، وقد أوحى الواقع كثيرا من الرموز والأمثال، فالأبطال والفرسان كانوا نماذج لإنشاء الروايات الخرافية أو المعتمدة على الواقع ولكن في أسلوب خيالي جامح والثورات التي فشلت كانت تتحول إلى آمال أخرى في النصر، والقادة الذين استشهدوا أو نفوا كانوا يتحولون إلى مهديين منتظرين سيعودون ذات يوم بالنصر، وهكذا كان الرواة والقصاصون يروون في المجالس والمقاهي والأسفار والندوات والحكايات على لسان أبطالهم الواقعيين أو الخياليين"[27]. وهذا يدل على مدى تمسك الجزائري بعاداته وتقاليده بأرضه وإحساسه بقوميته، إلى جانب وعيه بالظروف المزرية والأحداث الدامية، تلك الظروف التي صورها هذا الأدب الشفوي أروع تصوير، وبالتالي كان هذا الأدب المنفذ الوحيد الذي

لاذت به الطبقات الشعبية في مجالسها ولياليي سمرها مستلهمة بذلك روح البطولة والشجاعة. ومصادر القصص الشعبية هي في العادة "الحياة الشعبية نفسها وكذلك ألف ليلة وليلة وبالخصوص القصص الهلالية، وقد حاول بعض الفرنسيين أن يجمعوا الروايات والقصص الشفوية ويكتبوها، فاستطاعوا أن يجمعوا بعضها في آخر القرن الماضي وأن يترجموها إلى الفرنسية وهي تضمّ أغاني عاطفية وحكايات وقصصا عربية وبربرية، ومن هذه الآثار الشفوية:

- بين حمارين جزائري وإفرنجي: وهو حوار بين حمار جزائري وحمار إفرنجي، ولعلها تكون في التفاضل بين الأهالي والفرنسيين ولكن على لسان الحيوان.
- قصة شعبية كتبها باللهجة التلمسانية: عبد العزيز الزناقي (1932م) ونشرت سنة 1904م، ومحتوى القصة مخترع للمتعة والتشويق الأدبي، أما شكلها وإطارها فهو محلي ومن وحي الواقع بتلمسان، وهي تتناول الحياة الاجتماعية بتفاصيلها.
- المجالس الأدبية: وهي قصص من وضع فلاحين هما الشيخ محمد بن إبراهيم خوجة ورابح بن قويدر من نواحي البليدة، وقد حصل على النّصين جوزيف ديبارمي Joseph DeParme المستشرق الفرنسي سنة 1908م، والنصوص في شكل مجالس مختلفة أو لقاءات أو ندوات يحكي فيها البطل جزءا من قصة ولا ينتهي منها، ثم يلتقي في المجلس الموالي بالمستمعين فيروي لهم جزءا آخر منها وهكذا"[28].

ففي مرحلة النهضة الثقافية التي واكبت تطورات في مجالات اجتماعية وسياسية وثقافية "التفتت طبقة الكتاب إلى هذا التراث الشعبي الزاخر لتحييه من جديد وتستلهم منه موضوعات قصصها، بعدما أصبح الشعور بفقدان الشخصية يمثل المحور الذي يدور حوله تفكيرهم وتساؤلهم الدائب والمستمر عن هذا الشعور بالنقص وبالغربة اللغوية والثقافية فوجدوا في العودة إلى التراث الذي يجهله الفرنسيون وإحيائه في كتاباتهم، ما يحقق تأكيد الذات واستعادة الشخصية المفقودة فكانت الكتابات الأولى سواء منها الفرنسية أو العربية تنحو إلى العودة إلى هذا التراث تستلهمه، وذلك لإيصاله إلى الجمهور الفرنسي للتدليل

ولإثبات أنّ الشعب الجزائري بالرغم من الظروف العصيبة التي يمر بها وبالرغم من محاولات الفرنسة وتذويب الشخصية، لا يزال يحتفظ بثقافته الخاصة وبعاداته وتقاليده وتراثه الذي يمثل شخصيته"[29].

ومن العوامل الثقافية الأخرى التي ساهمت في نشوء الرواية الجزائرية وتطورها هو ذلك الاحتكاك الذي حصل بين الثقافة الوطنية والثقافة الأجنبية، فبفضل هذا الاحتكاك بالآداب الأجنبية استطاع الأدباء أن ينجحوا في عملية بعث الثقافة الوطنية وتدعيم شخصية الأمة.

لقد انفتح الأدباء الجزائريون على الحركات الأدبية الغربية منها والعربية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وأدى هذا إلى تكوين وعي ثقافي أثّر في الحياة الأدبية الجزائرية، الأمر الذي نتج عنه تطور في الأشكال الأدبية وتغيير في النظرة إلى الإبداع والكتابة بصورة عامة.

وهكذا ظهرت إلى الوجود كتابات لهذا الغرض الثقافي الذي كان من العوامل الأساسية التي أدت إلى نشأة الرواية الجزائرية، والتي استلهمت التراث وتأثرت بالقصة الشعبية للتعبير عن الواقع.

خاتمة:

الرواية الجزائرية الحديثة تزامن ظهور نصوصها التأسيسية والحقبة الاستعمارية نظرا للظروف القاهرة التي كان يتخبط فيها الفرد الجزائري، كلّ هذه الظروف مجتمعة (الاجتماعية والسياسية والثقافية) شكّلت البذرة الأولى أمام الكتّاب لخلق أدب جزائري صوّر معاناة وآهات هذا الشعب، وإسماع صوته من خلال فعل الكتابة.

الهوامش والإحالات

(1)– محمد العيد تاورته، الرواية في الأدب الجزائري المعاصر النشوء والتطور 1947–1984م، أطروحة دكتوراه دولة،ج10، إشراف الأستاذ: سيد البحراوي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها 2000م، ص144.

(2)– المرجع نفسه، ص145.

(3)– الطيب بودربالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة الوادي، الجزائر، العدد الثاني، مارس، 2010م، ص07.

(4)– محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها، بدايتها مراحلها، مطبعة الكاهنة، الجزائر، د.ط، 2003م، ص58.

(5)– عمار بحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1997م، ص179.

(6)– محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص73.

(7)– مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط 2007م، ص202.

(8)– المرجع نفسه، ص202.

(9)– المرجع نفسه، ص202.

(10)– المرجع نفسه، ص204.

(11)– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 1998م، ص21.

(12)– المرجع نفسه، ص22.

(13)– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط7 2007م، ص22.

(14) – العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج01، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط 1999م، ص20.

(15)– بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1989م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، 2006م ص156.

(16)– سامية سي يوسف، اللغة وحضور الأنساق الثقافية في الخطاب الروائي الأصل وترجمته رواية ألواح البحر لمرزاق بقطاش أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الأستاذ: أحمد حيدوش، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة، الجزائر، قسم اللغة والأدب العربي، 2014م، ص14.

(17)– جلال خشاب، إشكالية الهوية في الأدب الجزائري باللغة الفرنسية، ملتقى إشكاليات الأدب في الجزائر، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2006م، ص202.

(18)– عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925–1967م، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص72.

(19)– المرجع نفسه، ص89.

(20)– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج03، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1997م، ص333.

(21)– المرجع نفسه، ج03، ص334.

(22)– أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، 2001م، ص177.

(23)– بشير فايد، قضايا العرب المسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر ج01، إشراف الأستاذ: عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، قسم التاريخ والآثار، 2010م، ص57.

(24)– عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991م ص46.

(25)– عايدة أديب بامية، المرجع السابق ص72.

(26)– محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص98.

(27)– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج8، ص126.

(28)– المرجع نفسه، ج8، ص132.

(29)– فاطمة الزهراء زيراوي، المؤثرات الأدبية في الرواية الجزائرية المعاصرة، رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير في آداب اللغة العربية، إشراف الأستاذ: جميل نصيف، جامعة بغداد، قسم اللغة العربية 1983م، ص70.